مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص249- ص280 يناير 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

العولمة الثقافية

رؤية تربوية إسلامية

د. وليد احمد مساعدة و د. عماد عبد الله الشريفين

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة

جامعة اليرموك - اربد- الأردن

ملخص: يهدف البحث إلى بيان الآثار الايجابية والسلبية للعولمة الثقافية ، وسبل التعامل معها للحد من تأثيراتها السلبية، ولتحقيق هذه الأهداف استخدم الباحث المنهجين الوصفي والاستنباطي التحليلي في معالجة موضوعات البحث، وقد توصل الباحث إلى أن العولمة الثقافية تؤثر سلباً ومن هذه التأثيرات: التأثير في الهوية الإسلامية للأمة، وغياب مفهوم التوحيد، وتسلل الشرك والصنميّة، وعولمة الأسرة وتشويه اللغة العربية ، والمساس بالحضارات الإنسانية وعناصر العملية التعليمية كما تؤثر إيجاباً ببروز الحاجة إلى إيجاد مرجعية إسلامية واحدة للأمة، وممارسة الحوار الفاعل بين أفراد ومكونات الأمة فضلاً عن الاعتراف بالأخطاء وممارسة النقد الذاتي، ومن أهم هذه الأخطاء غياب العلم وانتشار الجهل وسيادة التقليد والإتباع وطغيان القبلية والعرقية والطائفية على مفهوم الأمة، أما سبل التعامل مع العولمة الثقافية، فقد توصل الباحث إلى أنه لابد من الثقة بالنفس كقاعدة آمنة للتعامل مع العولمة الثقافية، ثم وضع إستراتيجية ثقافية إسلامية، وإبراز عالمية الإسلام وإنسانيته، والاهتمام بالأسرة والحد من التلوث الثقافي والإعلامي من خلال تجديد الثقافة وتجذير الفروق الفردية، وإغناء القاعدة الروحية للأمة ولابد من التفاعل الحضاري والوعي بالمستقبل والتشجيع على الدخول في علومه، كما أنه من الضروري إعادة النظر في عناصر العملية التعلمية لتواكب التطور العالمي الحادث.

Cultural Globalization Islamic educational perspective

Abstract: This study aims at clarifying the advantages and disadvantages of cultural globalization and how to cope with its negative effects. So both were used.

The findings show the bad effect of globalization, first of all obliterating the Islamic identify, infiltrating idols and trinity, disfiguring Arabic language and education. Globalization also leads to the corruption of our families and tribes.

To cope with globalization we should have self confidence and we have to put an Islamic strategy . To globalize Islam and purify it from the impurities of other cultures. We should enrich ourselves with science and proper education which keeps pace with our developing world.

العولمة الثقافية رؤية تربوية إسلامية

المقدمة :

يظن بعض الباحثين أن الكتابة في موضوع العولمة هي بيان للمعلومات، وأن البحث العلمي هو بيان للمجهولات، ولكن البحث العلمي قد يكون إعادة النظر والتفكير من زاوية أخرى لما يظن أنه قد بحث أو أنه ترتيب معلومات وأفكار في قوالب جديدة، وهذا ما ستكشفه الدراسة الحالية.

إن المكتبة العربية والإسلامية تزخر بالعديد من الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي تعالج وتبحث في مفهوم العولمة وأشكالها وتأثيراتها المختلفة، لدرجة أن الباحث يشعر أنه في بحر متلاطم الأمواج لا شاطئ له ،إلا أن البحث في نتائج العولمة لم يأخذ حظه الوافر.

إن أخطر نتائج العولمة هو خطرها الثقافي، ففي الوقت الذي تدعو فيه العولمة إلى تحرير رؤوس الأموال والسلع، فإنها تدعو في الوقت نفسه إلى إيجاد ثقافة واحدة للبشر، ولعل أخطر ما في العولمة الثقافية سعيها إلى إلغاء التعددية الثقافية التي هي الكنز الباقي الذي تتطور من خلاله مختلف الحضارات، ومحاولتها سلخ الشعوب من هوياتهم الثقافية واللغوية لصالح ثقافة مهيمنة مسيطرة على العالم ، حيث السعي إلى نشر ثقافة العولمة ونماذجها في الحياة على حساب الثقافات الأخرى.

أهمية الدراسة :

على الرغم من انتشار مفهوم العولمة الثقافية، إلا أن الدراسات التي تناولت هذا المفهوم وتأثيراته التربوية لا تزال قليلة، ولا يزال هناك غموض في معرفة آثار العولمة الثقافية؛ لذا فالدراسة الحالية محاولة لبيان مفهوم العولمة الثقافية، والكشف عن الآثار الايجابية والسلبية لها ، وبيان سبل التعامل معها.

وكذلك تنبع أهمية هذه الدراسة في إسهامها في زيادة وعي المسلم بمفهوم العولمة، والعولمة الثقافية فتجعله أكثر إدراكاً ووعياً في التعامل مع آثار هذا المفهوم في حياة الأمة المسلمة .

أهداف الدراسة وأسئلتها :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم العولمة، والثقافة، والعولمة الثقافية ، والمفاهيم الدالة على العولمة الثقافية، ومقومات وجودها، وكذلك معرفة آثار العولمة الثقافية، وكيفية التعامل معها من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية :

السؤال الأول : ما مفهوم كل من العولمة، والثقافة، والعولمة الثقافية، ؟

السؤال الثاني : ما الآثار الايجابية والسلبية للعولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي ؟

السؤال الثالث: ما سبل التعامل مع العولمة الثقافية للحد من تأثيراتها السلبية وترسيخ تأثيراتها الايجابية من منظور تربوي إسلامي ؟

منهجية الدراسة :

اعتمد الباحث المنهجين الوصفي والاستنباطي أساسا في معالجة موضوع الدراسة، فاعتمد المنهج الوصفي في بيان مفهوم العولمة و الثقافة ، والعولمة الثقافية، كما اعتمد المنهج الاستنباطي التحليلي لمعرفة آثار العولمة الثقافية، وكيفية التعامل معها.

خطة الدراسة :

شملت الدراسة العناصر الآتية :

المبحث الأول: مفاهيم البحث ويشمل :

المطلب الأول : مفهوم العولمة.

المطلب الثاني : مفهوم الثقافة.

المطلب الثالث : مفهوم العولمة الثقافية

المبحث الثاني : آثار العولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي ، ويشمل:

المطلب الأول: الآثار السلبية للعولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

المطلب الثاني: الآثار الايجابية للعولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

المبحث الثالث: سبل التعامل مع العولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

الخاتمة: وفيها خلاصة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها.

المبحث الأول: مفاهيم البحث

المطلب الأول: مفهوم العولمة

لم يبرز على سطح المجتمع العالمي تيار فكري أو اقتصادي أو مصطلح علمي أو إنساني آثار الحيرة والقلق مثلما فعل" مصطلح العولمة"،فقد ظهر هذا المصطلح بعد انتهاء عصر القطبية الثنائية، وبروز ثورة المعلومات فهذا المصطلح ليس بالوضوح التي يتشدق بها المتشيعون له، فهو مصطلح شاع بسرعة تفوق شروط تشكل المصطلح، وهو لفظ مشحون بعدد من المعاني قد يعني كل شيء ولا يعني شيئا بعينه[1].

لقد تعددت تعريفات العولمة من قبل الباحثين والمهتمين، وذلك حسب توجهاتهم الفكرية، والعقدية، وثقافاتهم المختلفة، وتعدد الزوايا المتعددة التي ينظر منها الباحثون والمفكرون.

وقبل بيان تعريفات العولمة يمكن القول أن للعولمة معنى عاما شاملا، يتضمن الانتقال من المجال الوطني، أو الإقليمي إلى المجال العالمي، أو الكوني، وليس الدولي، لأن الكلمة الثانية تعني وجود الحدود، وخطوط الفصل بينما كلمة الكوني أو العالمي تتجاوز الحدود[2].

فقد عرف" هورشمان ومارشال العولمة بأنها:" اندماج أسواق العالم في حقول التجارة، والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعا لذلك؛ مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة" [3] ، والملاحظ أن التعريف أشار بشكل واضح إلى نتائج العولمة والتي هي اختراق الحدود فلم يعد بمقدور الدولة منع الاختراق الذي يؤدي إلى انحسار سيادتها على أراضيها وشعبها.

ويعرف الجابري العولمة بأنها" نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد فالعولمة نظام عالمي، أو يراد أن تكون، كذلك يشمل مجال المال والتسوق، كما يشمل مجال الفكر والسياسة والثقافة" [4] ، فالجابري يؤكد من خلال تعريفه للعولمة أنها تشمل أبعادا عديدة، وليس كما يدعي بعض المتحمسين لها أنها تتعلق بالاقتصاد فقط.

وتعرف العولمة أيضا بأنها اتجاه تقوده الرأسمالية بهدف إضفاء طابع كوني عالمي على أنماط العلاقات والتفاعلات في المجتمع الدولي بمظاهرها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والإعلامية، والمالية [5].

وعرفت أيضا بأنها نظام يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود والجغرافية والسياسة القائمة في العالم[6].

إن المتأمل في التعريفات السابقة يخرج بعدد من النتائج لعل من أهمها :

- تعدد المفاهيم المطروحة حول العولمة ،وان هذا التعدد يدل على أنها تنطلق من خلفيات ثقافية مختلفة.
- العولمة مفهوم أو ظاهرة ذات أبعاد عديدة، سياسية، وثقافية، واجتماعية تؤثر في حياة الأفراد والجماعات.
- العولمة تتضمن قيماً، واتجاهات، وأفكارا على الدول والشعوب أن تتبناها، وتتكيف معها.
- العولمة مصطلح ينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته، وانتمائه الديني، والاجتماعي، والسياسي، وبعبارة أخرى تضاؤل الاعتبارات المحلية من فكرية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية، في تشكيل حياة الناس لصالح انعكاسات عالمية عامة.

- العولمة تتضمن زيادة وتيرة الاتصالات العالمية وتظهر تجلياتها في كل مكان ومن هذه التجليات .

1. الانترنت الذي احتل عقول الناس ونفوسهم وأزال الحدود.
2. نشوء منظمات تحمل إيقاع العولمة مثل" أطباء بلا حدود"،" مراسلين بلا حدود".
3. تحول المنظمات الدولية إلى مؤسسات يمارس فيها الأقوى عمليات الاغتصاب الثقافي، والسياسي.
4. الاختراعات التي تقوم على استغلال الآخر، وهذه الاختراعات تحمل بصمات المخترع وأنماطه الاجتماعية وعاداته.

بعد هذا العرض السريع لمفهوم العولمة يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: **ما العلاقة بين العولمة والعالمية ؟**

إن العولمة تختلف عن العالمية، فالعالمية صفة تميزت بها رسالة الإسلام، يدل على ذلك قوله تعالى **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }**سبأ28 وتعني العالمية الانفتاح على العالم، والثقافات الأخرى، مع الاحتفاظ بالخصوصية، أما العولمة فهي نفي الآخر، واختراقه ثقافيا واقتصاديا، ومحاولة فرض ثقافة واحدة لدولة تملك القوة المادية و تريد السيطرة على العالم.

إن نشر الفكر والثقافة الخاصة بأمة من الأمم يعد أمرا راجحا، ومبررا نابعا من الإيمان بأحقية هذه الحضارة ،وأفضليتها؛ لذا تسعى إلى تعميمها والدعوة إليها بإبراز ايجابيتها لا بفرضها على الأمم الأخرى بتمزيق حضارتهم، وإلغاء هويتهم، فالعالمية التي يدعو إليها الإسلام تقوم على أساس الاعتراف بالآخر في هويته، وثقافته، وحضارته.

إنّ العالمية في الإسلام تقوم على أساس تكريم بني آدم جميعا قال تعالى **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ }** الإسراء70 في حين أن العولمة تفرض هيمنة سياسية، واقتصادية، وثقافية من الولايات المتحدة، ولا تعني معاملة الأخ لأخيه الإنسان كما في الإسلام، ولا معاملة الأحرار الشرفاء، بل معاملة السيد للعبيد، والعمالقة للأقزام، والمستكبرين للمستضعفين(7).

المطلب الثاني : مفهوم الثقافة:

اعتاد الناس أن يطلقوا لفظ المثقف على كل من تخصص في ميدان من ميادين المعرفة، فالثقافة بهذا المفهوم التعليم، وقد يطلق لفظ المثقف على كل شخص لديه عادات سلوكية ممتازة، وهنا تعني الأدب. والواقع أن المثقف لا بد أن يتصف بصفتين: الأولى الوعي الاجتماعي الذي

يمكن الفرد من رؤية المجتمع رؤية شمولية عامة، والثانية : الدور الاجتماعي الذي يمكنه وعيه الاجتماعي من لعبه.

وقد اختلف في تعريف الثقافة، فقيل إنها المظاهر من السلوك الإنساني الذي يرضاه كل مجتمع على حدة، أي" مجموعة الأنماط السلوكية من الناس، تؤثر في سلوك الفرد الموجود في تلك المجموعة، وتشكل شخصيته، وتتحكم في خبراته وقراراته ضمن تلك المجموعة من الناس التي يعيش بينها"[8].

وتعرف بأنها" مجمل السلوك الاجتماعي المكتسب، والمتعلم الذي يتم تناقله من جيل لآخر"[9].

وقيل إنها نموذج كلي لسلوك الإنسان، وقيمه ،وعاداته، وأفكاره، وأفعاله، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعلم، ونقل المعرفة للأجيال التالية[10].

وثمة من يعرفها أنها" مجموعة العلوم، والفنون، والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان، فتكسبه أسباب الرقي، والتقدم، والوعي، فهي النسيج الكلي من الأفكار والمعتقدات، والعادات، والتقاليد، والاتجاهات، والقيم، وأنماط التفكير، والعمل، والسلوك وما ينبني عليها من تجديدات، أو ابتكار، أو وسائل في حياة الناس" [11].

فالثقافة التي أجمعت عليها التعريفات السابقة هي المحتوى الإنساني للحضارة من علوم، وفنون، وعلاقات، وتصورات، وقيم، وتشمل كافة جوانب الحياة[12]، ومما سبق يمكن بيان مكونات الثقافة بالآتي:

أ- المكونات المعنوية :

وتشمل العقيدة، والأخلاق، والأعراف، والقيم، واللغة التي هي أبرز مكونات الثقافة، وهذه العناصر تشكل جوهر الثقافة، ومرجعيتها وفيها تكمن الخطورة في التأثير.

ب- المكونات المادية :

وهو ما أبدعه الإنسان من أدوات، ومعدات، ووسائل، وأساليب تعينه على التكيف مع البيئة، وهذا الجانب مرتبط بالجانب المعنوي، وتابع له.

المطلب الثالث : مفهوم العولمة الثقافية.

يشير المؤرخ الأمريكي" رونالد ستيل" إلى أن الثقافة التي ستسود العالم في زمن العولمة هي ثقافة أفلام الحركة، والعنف، والجريمة، والجنس وأن الولايات المتحدة غير جادة في تقديم ثقافة راقية للعالم . [13].

وبناء على ذلك تمثل العولمة خطرا على الثقافة الإنسانية عموما، والعربية والإسلامية على وجه الخصوص، فالحضارات الإنسانية لم تتطور إلا بتنوع الثقافات، وعندما تريد فئة من البشر أن تفرض ثقافتها على سائر الأمم الإنسانية، فإنها تجعل من بقية الشعوب أشباه آدميين ، وهذا ما يتناقض مع خصائص الإنسان كمفكر ومبدع[14].

ونتيجة تأثير العولمة على الثقافة الإنسانية عموما شاع مصطلح العولمة الثقافية" أي إن الثقافة إحدى الساحات الرئيسة للعولمة، فما مفهوم العولمة الثقافية ؟.

يعرف الجابري العولمة الثقافية بأنها" فعل اغتصاب ثقافي، وعدوان رمزي على سائر الثقافات...." [15]أي إنها ليست الثقافة المكتوبة، فالثابت أن العولمة الثقافية تتوسع في مناخ من تراجع الثقافة المكتوبة على صعيد الإنتاج والتداول، فثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، ثقافة الصور [16].

ويصفها محمد شعبان بأنها الدكتاتورية بعينها، وأنها تسلط فكري وحضاري ينادي بطمس الآخر، وإقصاء ثقافته، لتبقى ثقافة واحدة هي الثقافة الأمريكية[17].

فالعولمة الثقافية تهدف إلى وضع شعوب العالم في قوالب فكرية، تنبع أساسا من الثقافة الأمريكية، وهنا تكمن خطورتها في هيمنة ثقافة واحدة، وقيامها بتهميش الثقافات الأخرى الحية في العالم، فهي تهدف إلى إبعاد الناس عن واقعهم الاجتماعي، واختراق الهوية الثقافية للأمم والشعوب، وتعميم قيم الاستهلاك[18]. فالعصر القادم في نظر مؤيدي العولمة الثقافية يتطلب توحيد القيم، والرغبات، وأنماط الاستهلاك من مأكل، ومشرب، ومسكن، وطريقة التفكير، بهدف الوصول إلى ثقافة واحدة بلا حدود.

بينما يرى البعض أن العولمة الثقافية عملية شاملة يشارك بها الجميع، وليس ثمة تناقض بين العولمة الثقافية، والخصوصية الثقافية، فوجود نمط ثقافي عالمي لا يعني القضاء على الأنماط الثقافية الوطنية والقومية، بل ربما يؤدي إلى مزيد من تأكيدها[19].ويرون أن العولمة الثقافية لا تمثل ثقافة إنسانية جديدة، وإنما تمثل مجموع ثقافات ذات ملامح متشابهة تسعى إلى إلغاء الفوارق، وإعلاء التماثلات[20].

فهي تقارب يحدث بين الثقافات المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها، وصهرها جميعها في بوتقة ثقافية واحدة ذات خصائص مشتركة[21].

بعد أن تبين لنا أن هدف العولمة الثقافية توحيد البيئات الثقافية بثقافة واحدة، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه وهو: **هل من الممكن توحيد البيئة الثقافية العالمية ؟**

أولا : من الاستحالة على أي نظام مهما كان أن يكون قادرا على محو الخصوصيات الثقافية، أو إلغاء التنوع الثقافي، حتى لو توفرت الوسائل؛ لأن من خصائص الفطرة (التنوع).

ثانيا : من الاستحالة إلغاء التداول الثقافي، وبناء المشترك الإنساني، وإيقاف الحوار الحضاري، يقول سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }** (الحجرات 13). فالتعارف هو ثمرة التنوع.

وقد حاولت بعض النظم الماركسية عولمة العالم بماركسيتها إلا أنها لم تستطع ذلك بالرغم من كل ما فعلت، فالتنوع أمر طبيعي وواقعي لا يتطلب الاعتراف به من واحد[22].

ثالثا : إن القائمين على العولمة الثقافية لا يملكون الموارد الكافية لتنميط كل الثقافات والمجتمعات، فالولايات المتحدة لا تملك الموارد الكافية التي تمكنها من الهيمنة طويلا، والعالم لا يستطيع أن يستمر أحادي القطبية، فالعولمة في كوامنها اللاعولمة بحكم منطقها الأحادي والمهيمن[23].

رابعا : إن العولمة الثقافية تحمل قيماً وسلوكات لا يمكن لها أن تدوم؛ لأنها لا تعتمد إلا على المادة، والنفع، والمتعة السريعة، ولا تستند إلى مرجعية حضارية صلبة تفرض نفسها، وتجلب الاحترام، فعامة الناس لا تستسيغ هذه القيم، وتأبى الانخراط فيها حتى وإن رددتها، وأوهمت الآخرين باستيعابها[24].

خامسا : الثقافة المعولمة لا تستطيع النفاذ إلى الأفراد والشعوب إلا عبر عقولهم، وإرادتهم، وهذا أمر غير يسير، مما يدعو الإنسان إلى العودة إلى ما يتوافق مع تراثه الثقافي، والحضاري.

سادسا : الاعتقاد السائد بأن الثقافة الأمريكية يجب أن تكون ثقافة العالم اعتقاد يصطدم مع عقائد وقيم أبناء الثقافات الأخرى، وعلى رأسهم أبناء الثقافة والحضارة الإسلامية[25].

ويبقى التأكيد على أن العولمة الثقافية تعمل ضد إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي، والذي صدر عن الأمم المتحدة، والذي يتضمن: أن لكل دولة ثقافة، وكرامة وقيما يجب احترامها، والمحافظة عليها، ومن حق كل شعب أن ينمي ثقافته، والثقافات البشرية جميعها، وبما فيها من تنوع وتباين جزء من التراث الذي يشترك فيه البشر جميعاً[26].

المبحث الثاني: آثار العولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

تمهيد :

إن العولمة الثقافية أدت إلى اهتزاز القيم والأفكار التي يحملها الإنسان، وسببت قلقا وتناقضا لا يسهل التعايش معه، وأدت إلى الشعور بالنقص، والضعف عند الأفراد، فهي أشد

أنواع العولمة خطراً، وأبعدها أثراَ، فهي تريد نزع الهوية، وإشاعة الثقافة الملوثة، وتشويه التقاليد، والأعراف السائدة، بل والتخلي عن المعتقدات.

وقبل البدء بالبيان التفصيلي لآثار العولمة الثقافية على العالم العربي والإسلامي، لا بد من بيان أن الدول الأوروبية تشكو العولمة الثقافية الأمريكية، ففرنسا أصدرت إجراءات، وتشريعات وقائية للحد من تأثير العولمة الثقافية على ثقافتها المحلية ؛ بأن لا تزيد البرامج الأجنبية في محطات الكوابل على 30% من مجموع البرامج، ودعمت الحكومة الفرنسية الاتحادات الإعلامية من أجل إخراج منتجات ثقافية وإعلامية تستطيع مواجهة الزحف الثقافي الأمريكي[27].

وقررت الحكومة الفرنسية عدم تمويل الندوات المستعلمة كليا أو جزئيا للغة الإنجليزية[28]، وفرض البرلمان الأوروبي قيودا شديدة على الأفلام الأمريكية التي تعرضها التلفزيونات الأوروبية، وأبدى استغرابه من بعض دول الاتحاد في ترددها في وضع قيود على الأفلام الأمريكية[29]. ويقول أحد الخبراء الكنديين إن الأطفال الكنديين لا يدركون أنهم كنديون لكثرة البرامج الأمريكية كما يقول إن أكبر شيء يساهم في صناعة الثقافة هو بث الأفكار[30].
فإذا كانت فرنسا وكندا والاتحاد الأوروبي يخشون على هويتهم أو ثقافتهم الوطنية من العولمة الثقافية الأمريكية، فإن العالم العربي والإسلامي لديه من المسوغات ما يفوق ذلك بكثير. وفيما يلي عرض موجز لآثار العولمة الثقافية.

المطلب الأول: الآثار السلبية للعولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

يرى الباحث أن العولمة الثقافية أثرت وتؤثر في العديد من المجالات ومن أهم تأثيراتها السلبية:

أولا: العدوان على الهوية الثقافية للأمة:

الهوية هي خصوصية الذات وما يتميز به الفرد أو المجتمع عن الآخرين من خصائص ومميزات وقيم ومقومات، أما الهوية الثقافية فهي القدر الثابت، والجوهري والمشترك من السمات التي تميز حضارة هذه الأمة من غيرها من الحضارات التي تجعل للشخصية طابعا تتميز به عن الشخصيات الأخرى[31].

وبلغة أبسط هي مجموعة الخصائص والميزات العقدية، والأخلاقية، والثقافية، التي ينفرد بها شعب من الشعوب وأمة من الأمم[32].

إن الهوية العربية الإسلامية التي تشكل الحضارة العربية الإسلامية تعرضت لمحاولات غزو وطمس، وتفتيت، وخاضت الأمة معارك عسكرية طاحنة من أجل المحافظة عليها. ولعل

أخطر المحاولات الغزو الصليبي في القرن الحادي عشر، والثالث عشر، والغزوات التتارية المتتالية، ثم الغزو الأوروبي في القرن التاسع عشر والعشرين، ثم الهجمة الصهيونية[33]. وفي هذا العصر جاءت العولمة الثقافية التي تضع الأمة في حالة خوف من فقدان الهوية، فمخاطر العولمة الثقافية على الهوية إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الأمة الإسلامية، واستقلالها، وإرادتها والخطورة تأتي من سببين:

أ- الفارق الكبير بين مسلماتنا الثقافية، ومسلمات تحاول العولمة الثقافية فرضها، ومثال ذلك أن هويتنا الإسلامية تحظر على المرأة إبداء شيء من جسدها للرجال، في حين أن ثقافة الغرب تحاول سحب الفتاة لتعاشر الرجال معاشرة الأزواج.

ب- إن النخب الثقافية في العالم الإسلامي تباينت مواقفها من العولمة الثقافية، فيرى بعضهم أنها فرصة للتخلص من التقاليد البالية، في حين يرى بعضهم الآخر أنها خطر داهم ومحدق.

وهذا ما أكده التويجري بأن العولمة الثقافية لا تؤثر في الهوية، ولا يمكن أن تكون بحال نقيضا للهوية، وهي ليست بديلة عنها، فتعدد الهويات والخصوصيات لا يتعارض مع قضاء المصالح المشتركة بين الشعوب، وهي السبيل إلى صهر الهويات المتنوعة في بوتقة واحدة مهيمنة[34]. في حين يؤكد القرضاوي أن العولمة الثقافية تريد أن تسلخنا من جلدنا أن تنزع منّا هويتنا، أو أن تنزعنا من هويتنا، وأن تجعلنا نتلقى بضائعها الملوثة والحاملة للموت والدمار[35].

إن العولمة الثقافية تطاول على هويات الشعوب، وترمي إلى تعميم نموذج من السلوك، والقيم، وطرائق التفكير و العيش، فترمي إلى طمس الهوية الثقافية عن طريق احتلال العقل، والتفكير للإنسان المسلم. ويمكن بيان آثار العولمة الثقافية فيما يخص الهوية الثقافية للأمة بالآتي:

أ- انحسار الثقافة المكتوبة وانتشار ثقافة الصورة

الثابت أن ثقافة العولمة تتوسع في مناخ حاد من التراجع للثقافة المكتوبة على صعيد الإنتاج والتداول، فثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، ثقافة ميلادها احتضار لثقافة المكتوب، وميلاد لثقافة الصورة[36].

فالصورة هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، فهي نظام وعي الإنسان بالعالم، إنها المادة الأساسية التي يجري تسويقها على أوسع نطاق، فتلعب الدور الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية.

إن هجوم ثقافة الصورة على الإنسان يجري في امتداد لتراجع مروع في معدلات القراءة في العالم مما يعني ضموراً متزايداً لجسم المعرفة، وضعفاً شديداً في التكوين المعرفي للإنسان[37].

إن سيطرة نمط الصورة : النمط التلفزيوني على النمط المكتوب يعد تهديدا للقيم والرموز، فوسائل الإعلام المرئية هي الناقل الأساسي للثقافة، وتساعد على نشر الأنماط السلوكية، وتعتمد هذه الوسائل على الإثارة، والمتعة والتسلية من خلال الصوت، والصورة، والحركة[38].

ب: تغيير مفهوم الثقافة وانتشار قيم ثقافية وأوضاع اجتماعية جديدة.

يشير مفهوم الثقافة إلى أنها مجموعة الظواهر، والرموز، وأنماط العيش، وطرق الإنتاج، والقيم، والعقائد الخاصة بمجتمع من المجتمعات، أي هي تعبير عن النظام الاجتماعي السائد في المجتمع.

وفي ظل العولمة الثقافية لن نستطيع القول إن الثقافة تعبر عن النظام الاجتماعي، فالناس يحملون قيما وأفكارا خرجت من البث المتلاحق للصورة، ولم تخرج من نظام اجتماعي، فلا بد أن يفكر العالم في معنى للثقافة يكون خارج حدود الصلة بينها وبين النظام الاجتماعي[39].

إن الثقافة أمر لا يصح التفريط به، وهذا يعني أن الاختراق الثقافي سيكون من داخل الثقافة نفسها، أي بالارتكاز على قواعد ومن أهمها، تزين الفردية للناس: وجعلهم يشعرون أن وجودهم مرتبط بالفردية، وهذا مخالف للرؤية الإسلامية، خاصة أنها ترى في الحياة الاجتماعية موردا من أهم موارد سعادة الإنسان، والسعي المتواصل لتهميش سلطة الدولة في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية.

وبهذا الاختراق فان العولمة الثقافية ستفتت نظام القيم، وتكرس معايير جديدة من النفعية، والفردية، والأنانية، والمادية ، وستركز على الجسد، وتقتل الروح، وستعم قيم الاستهلاك، والمتعة، والحياة، وينتشر الفساد، ويزداد الغلاء، وتضيع القيم العامة، ويزداد التفكك الأسري والتشرذم الاجتماعي.

إن العولمة الثقافية سوف تخلق مجتمعا غليظ القلب تحكمه المادة، والربح، وقوى السوق، وهذا ما يؤدي إلى تعميق الفجوة بين قمة الهرم وقاعدته[40].

ثانيا: التأثير في اللغة العربية .

العولمة الثقافية أثرت، وستؤثر في اللغة العربية، بعد أن أخذت اللغة الإنجليزية موقعها في العلم، والتكنولوجيا، فالعولمة تسعى إلى تهميش اللغات، وخاصة اللغة العربية؛لأن اللغة العربية من أهم أسباب الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وترسيخ الوحدة الإسلامية.

ولا نجانب الصواب يقيناً أن القائمين على العولمة الثقافية يجعلون همهم ابتعادنا عن لغتنا الأم، ساعين قدر مستطاعهم أن يكون كلامنا أو نصفه من كلامهم ولغتهم لهثاً وراء طمس معالم هويتنا العربية والإسلامية، بل يريدون بعد ذلك أن ندخل كلامهم في كتاباتنا وأن نعلم أبنائنا لغة غيرنا حتى ينسوا لغتهم.

فالمتأمل في العالم يجد أن هناك أكثر من" 6000" لغة، ولكننا نلاحظ أن أكثر من 90% من برامج الانترنت بالإنجليزية، فما السبب؟[41].

والهدف من ذلك القضاء على اللغة العربية إلى القضاء على العروبة والإسلام، فالعروبة رابطة مضادة للعولمة التي تستلزم القضاء على أي رابطة غيرها، فمصطلحا العروبة والأسلمة يشكلان خطرا على العولمة باعتبارهما عنصرا من عناصر القوة للأمة العربية والإسلامية.

لقد كانت العربية ركناً من الأركان التي قام عليها نظام الحضارة الإسلامية بمفاهيمه ومصطلحاته ودلالته، قبل أن يتم السطو عليها، فالفصاحة سنة نبوية كريمة يلزم إحياؤها، وإتباعها كباقي السنن، فهي سنة شريفة تقتضي من المسلمين إتباعها تأسيّاً بالنبي الكريم بل وتعبيراً عن المحبة والوفاء.

إن اللغة العربية من عوامل وحدة المسلمين وانسجامهم، وهي أداة الثقافة والحضارة وهي العلم والتنمية والتفكير والتعبير وهي الشخصية بكل قسماتها وسماتها وذاكرتها، وهي تمثل أرقى أنواع القدرة على الاختيار والانتقاء، وهي الأداة الأوسع والأرحب لممارسة عمليات التفكير والإبداع، فهي مرآة الأمة تعكس حركتها وتاريخها، ولهذا"يقولون دائماً أن اللغة وعاء الفكر" لهذا كله تستهدف العولمة الثقافية اللغة العربية فالمطلوب اليوم أن تتقدم اللغة العربية على اللغات الأجنبية لتحل محلها بالتعريب والترجمة وملاحظة المستجدات وكل اعتراض على التعريب ينخرط في سلة الاستعمار ويحمل في طياته بصفة مباشرة أو غير مباشرة الدعوة إلى نشر اللغة الأجنبية.

ثالثا: عولمة الأسرة

الأسرة بوجه عام هي الجماعة الصغيرة ذات الأدوار المركزية، يربطها رابط الدم، وتشترك في سكن واحد، وتتعاون اقتصاديا فيما بينها[42]، وهي الحصن الباقي إذا انحرف المجتمع، فهي التي أبقت شعلة الإيمان في الصدر زمن الحكم الشيوعي للبلدان الإسلامية، وهي الشعلة الباقية لإحداث الوحدة الإسلامية من خلال غرس القيم الإسلامية المتعلقة بالأمة، وأول ما تسعى إليه العولمة الثقافية تفكيك الأسرة من خلال تحولات اجتماعية، وثقافية عاصفة، والتفكك

المنشود هو فقدان الأسرة لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية، وأخلاقية للناشئة بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم(43).

ومن أهم أشكال عولمة الأسرة التي يراد للأسرة المسلمة أن تسير في ركبها، الجنس المستباح خارج إطار الزوجية Extramarital Marriage، ونقل ظاهرة تبادل الزوجات Spouse Swapping، وهي ظاهرة موجودة في الطبقة الوسطى في أمريكا، وهي شكل من أشكال الحرية الجنسية للمرأة، وظاهرة التساكن المجرد Commuter Marriage، وهي تعايش زوجين دون جماع، وكل حر خارج إطار الزوجية، وهذه الظاهرة موجودة في الطبقة العليا بين الأزواج الأمريكيين، والبغاء المرخص Sex on Sale، والذي يتم تحت إشراف حكومي، وثمة شبكات للبغاء العالمي تباع فيها المرأة، وتشترى.

وهذا التفكك الذي ترمي وتهدف إليه العولمة الثقافية سيؤدي إلى سيادة العنف، والقسوة على المستويين الفردي والجماعي، حيث يتحول فيها الإنسان إلى كائن برجماتي لا يعرف إلا نفسه، بالإضافة إلى العقوق، وقطيعة الأرحام، واختلاط الانساب.

ولا سبيل لنا نحن المسلمين من النجاة من خطر" عولمة الأسر" وتفكيكها إلا بالاستمساك بقيم الإسلام، وحدوده، وأخلاقه، وكذلك لا بد من الوقوف بحزم ضد أشكال العولمة الأسرية؛ لتعارضها مع إسلامنا، وقيمنا، وعاداتنا، وتقاليدنا(44).

ولا بد من الإشارة إلى أن المؤسسات التقليدية مثل الأسرة، والمدرسة لم تعودا قادرتين على توجيه الأطفال، فهم يواجهون عدة جبهات وقنوات تعمل على التأثير فيهم، فقد بدأ الطفل يفقد الرؤية السليمة لكل ما يحيط به من مواقف، وقيم، واتجاهات، فوسائل الإعلام اقتطعت دوراً كبيرا من الوظيفة التقليدية للأسرة.

رابعا : التأثير في تطور الحضارات وتذويب بعضها

العولمة الثقافية تشكل خطرا على الثقافة الإنسانية عموما، والعربية والإسلامية خصوصا، فالحضارات الإنسانية لم تتطور إلا بفعل تنوع الثقافات، وعندما تريد مجموعة معينة من البشر أن تفرض ثقافتها على الأمم الأخرى، فإنها بذلك تريد أن تجعل من بقية الشعوب أشباه آدميين، وهذا ما يتناقض مع خصائص الإنسان كمفكر ومبدع(45).

إن التجانس الثقافي إبادة ثقافية، وانقراض للإنسان، والتعددية الثقافية ثروة كبيرة يجب على الإنسان الحفاظ عليها، فالتنوع ضرورة من ضرورات الحياة يجب المحافظة عليه، وهو سنة من سنن الله في الكون، قال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ }** (الروم22) فالعولمة الثقافية تهدف إلى تذويب الحضارات

التي تحمل قيما مضادة لقيم الحضارة الغربية، مثل الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية، ولعل هذا ما يريده الكاتب الأمريكي" صموئيل هانتجتون"، والتذويب يكون تحت شعار إزالة الحواجز بين الشعوب، وهذا يدل على هدف أعمق من الحضارة، ألا وهو القضاء على الإسلام(46).

خامسا: التأثير في العملية التربوية:

إن محاولة محو الثقافات خروج على طبيعة الأشياء، وتمرد على سنن الفطرة، وخرق للقوانين المتعارف عليها عند البشر، بل تهديد للسلم والأمن العالميين، فالثقافة لها كرامة و قيمة يجب احترامها، و المحافظة عليها، فمن حق كل شعب أن ينمي ثقافته، ويحافظ عليها؛ لأنها عنوان حضارته، والمس فيها مس بالحضارة بشكل مباشر، فإذا تم الاختراق الثقافي سهلت التبعية السياسة والاقتصادية والتربوية.

فالعولمة الثقافية تهدف إلى صبغ العالم كله، و خاصة الأمم القادرة على التأثير والمنافسة بصبغتها القائمة على المادية، وإعلاء الفردية، و التحرر من المبادئ والقيم(47)، وأوجدت العديد من الآثار، والنتائج في حياة الفرد، والمجتمع بمختلف مؤسساته وأطيافه

مما يهدد بأزمة تربوية خانقة،ومن أبرز ملامح هذه الأزمة، ضعف العلاقة بين التعليم، و مؤسسات سوق العمل، وبالتالي انتشار البطالة بين خريجي المؤسسات التربوية، و كذلك عدم تحقق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وافتتاح فرص التعلم بالكمبيوتر للبعض دون الآخر. وازدواجية تعليم النخبة والعامة، كذلك أدت إلى دخول التجارة إلى حقل التعليم مما يستدعى و ضع أهداف تربوية تناسب عصر العولمة الثقافية

وكذلك إخضاع النظم التربوية التعليمية لشروطها وهيمنتها ،وفرض نماذج، وفلسفات تربوية خاصة تسهم في تغيير اتجاهات الأفراد من خلال اختراق المنظومة التربوية المحلية، وبالتالي الوصول إلى تناقضات بين الأصالة والمعاصرة، مما يؤدي إلى تغير ملامح المنظومة التربوية الإسلامية لصالح منظومة العولمة الثقافية.

المطلب الثاني: الآثار الايجابية للعولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي.

يرى الباحث أنه يمكن للعولمة الثقافية أن تحدث الآثار الايجابية آلاتية وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه الآثار:

<u>أولا</u> : بروز الحاجة إلى المرجع الذي نستطيع من خلاله تقويم أوضاعنا:

العولمة الثقافية تحدث هزة في كيان العالم الإسلامي من خلال بروز حاجة إلى معتمد نستطيع من خلاله أن نقوّم أوضاعنا ومشكلاتنا ونحصّن أنفسنا من الآثار السلبية للعولمة الثقافية، وهذا المرجع هو المنهج الرباني المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

يقول الدكتور طه جابر العلواني متحدثاً عن أهمية تحديد المرجع،"لابد من عملية تحديد الإطار المرجعي لهذه الأمة من جديد، بحيث لا يصبح التراث كله وحده مصدر الأصالة كلها، ولا المعاصرة والحداثة كلها – وكما هي – إطاراً مرجعياً بحجج مختلفة، فإن الإنسان لا يمكن أن يبدع إذا بلغت مصادره التي يرجع إليها هذا الحد من الكثرة والسعة، وبالتالي فالإطار المرجعي ينبغي أن يتحدد للمسلم المعاصر بالقرآن مصدراً ومنشأً للفكر والتصور والعقيدة والقيم، ولأسس النظم وقواعدها، وبالسنة النبوية باعتبارها مصدراً مبيناً لهذا القرآن بمختلف أنواع البيان" [48].

إن تحديد المرجعية والتي هي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يعصم الأمة من خطأ تعدد والمرجعيات المذهبية والطائفية أو حتى الشيخية لأن آراء المذاهب أو الطوائف أو العلماء والمشايخ لا تشكل مرجعية لعامة الناس، فرسالة الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب فلا فرق بين عربي وعجمي، ودعت إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية ورفع لواء العالمية لأول مرة في تاريخ البشرية، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }**النساء1، أجل هذا هو السر في وحدة الأمة الإسلامية لأن الإخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها، ومما لا شك فيه أن تحديد هذا الإطار المرجعي للمسلمين وفي كل شؤون حياتهم سوف يكون له الأثر البالغ في اتساع الوطن الإسلامي والسمو على الحدود الجغرافية والطائفية والعرقية وصولاً إلى الوحدة الإسلامية المطلوبة.

ثانيا : أهمية الحوار بين أفراد الأمة المسلمة وجماعاتها:

إن العولمة الثقافية تستدعي إيجاد لغة تفاهم بين أفراد الأمة الإسلامية ومكوناتها وهي لغة الحوار من أجل الوصول إلى الهدف المنشود في الوحدة والانسجام، والحوار عملية تواصل بين طرفين متوازنين يعتمدان المحاورة حول أمر من أمور المعرفة، والحوار استعداد نفسي وعقلي لتقبل الطرف الآخر، وهو الخيار الأمثل للبشر من أجل العيش بسلام والتغلب على معوقات التواصل، فالحوار الهادف يعطي المحاور فرصة لمراجعة أفكاره، وإخضاعها للتمحيص

والنقد ويعطيه فرصة الانفتاح على الآخرين وإدارة الحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة وليس الانتصار للرأي.

والإسلام أمر بالحوار حتى مع المخالف في العقيدة، يقول سبحانه وتعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }**آل عمران64 مع اعترافه بالاختلاف والتعددية والتنوع، قال تعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ }**هود 118-119.

والأمة الإسلامية بحاجة إلى الحوار في عصر العولمة الثقافية اشد من حاجتها له في مختلف العصور والأزمان وذلك للأسباب الآتية:

- بغية اللحاق بركب العالم المتقدم، فالحوار الدائم طريق النهضة والتخلص من كثير من المثالب والتخلف، فبواسطته يتحدد الواقع وترسم الأهداف والسياسات والبرامج.
- غياب الحوار أو رفضه يعني زيادة التخبط والتخلف والعزلة إضافة إلى صيرورة العقل جامداً منطلقاً وتجاهل القدرات العقلية لدى البعض ووأدها لدى البعض الآخر.
- الحوار يمنع بروز لغة التطرف إذ يفهم كل طرف حقيقة موقفه دون مغالاة أو محاولة فرض الرأي على الآخرين.
- الحوار يعني التخلي عن سياسة أن الآخر مخطئ وأنا المحق الوحيد، فيفرض كل طرف أفكاره بترتيب وموضوعية[49].

ثالثا: أهمية الاعتراف بالخطأ وممارسة النقد الذاتي:

إن العولمة الثقافية دعوة للمسلمين من غير قصد إلى الاعتراف بالأخطاء وممارسة النقد الذاتي، سواء أكانت هذه الأخطاء فردية أم جماعية، فالإنسان معرض للخطأ فإذا تبين له الخطأ كان الرجوع إلى الحق فضيلة، والتسليم بالخطأ يحتاج إلى تربية ومجاهدة لأن الذي لم يعود نفسه الإقرار بالخطأ يصعب عليه أن يفعل ذلك.

ومن الأخطاء التي يجب الإشارة إليها طغيان القبلية والإقليمية والعرقية على مفهوم الأمة لدى حكومات العالم الإسلامي، وجاءت العولمة الثقافية فعززت بشكل مباشرة أو غير مباشر هذه الخطيئة مع أن الإسلام أكد مفهوم الأمة، يقول سبحانه وتعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }**البقرة143، يقول سبحانه: **{وَلْتَكُن مِّنكُمْ**

أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ }آل عمران104

ومن الأخطاء التي وقعت بها الأمة في فترات الزمن الماضية إغلاق باب الاجتهـاد أي سيادة التقليد والإتباع وغياب العلم وانتشار الجهل، إن العلم والاجتهاد من العوامل التي تؤدي إلى ترسيخ الوحدة الإسلامية، والعولمة الثقافية تكرس سيادة روح التقليد وانطفاء العقل المسلم وغياب القدرة على الكشف والابتكار، والمتأمل في حياة المسلمين يرى أنها قد اصطبغت في كل جوانبها بالصبغة الغربية في الفكر والتصور والاعتقاد في التربية والتعليم والسياسة وأنظمة الحكم.

إن التقليد والتبعية أمر منهي عنه، فقد نهى القرآن الكريم عن إتباع غيرنا فـي الـنظم والتشريعات، قال تعالى: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّـذِينَ لَـا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئاً وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـاء بَعْـضٍ وَاللَّـهُ وَلِـيُّ الْمُتَّقِينَ}**الجاثية: 1819.

ونهى النبي ﷺ عن التقليد، حيث قال:" لتتبعن سنن من قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، قال فمن"[50].

والإسلام يدعو إلى العلم والاجتهاد، فقد إذن النبي ﷺ للصحابة بالاجتهاد في حياتـه ومـن ذلـك حديث معاذ عندما بعثه قاضياً إلى اليمن، فقال كيف تصنع إن عرض ذلك القضاء، قال: اقـضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قال اقضي بسنة رسول الله ﷺ قال فإن لم يكـن في سنة رسول الله قال اجتهد ولا ألوء، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقـال الحمـد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله[51].

إن العالم الإسلامي يغط اليوم في سبات الجهل والجمود والتقليد وغياب العلم، وشـعور بالضعف، والانهزامية والذلة أمام الفتوحات العلمية، وجاءت العولمة الثقافية لتعزز هذا الجمـود والتقليد وبالتالي فقدان مؤشر الوحدة الإسلامية.

المبحث الثالث: سبل التعامل مع العولمة الثقافية من منظور تربوي إسلامي

العولمة الثقافية ذات تأثير بالغ في الثقافات والحضارات المختلفـة، وحتـى نحـد مـن تأثيرات العولمة الثقافية يجب علينا القيام بخطوات، أو الانطلاق من مرتكزات عديدة، منها :

الفرع الأول: الثقة بالنفس قاعدة آمنة في التعامل مع العولمة الثقافية :

الثقة بالنفس قاعدة آمنة تسمح بالتفاعل مع الآخرين، ففي التعامل مع العولمة الثقافية من الأفضل أن نتلمس مواطن القوة و المنعة في أمتنا، وأن ننطلق منها للتعامل مع الآخـر، بمعنـى إعادة الاعتبار للذات الإسلامية بما تبقى من إيمان.

فينبغي كسر حدة الانبهار بالغرب، ومقاومة جذبه ورده إلى حدوده الطبيعية، فإنجازات الآخرين تدفعنا إلى الثقة بأنفسنا، فنحن نملك ما يمتلك الآخرون، وعندنا القدرة على الإبداع.

الفرع الثاني: وضع إستراتيجية ثقافية إسلامية للأمة:

الإستراتيجية تتحرك باتجاهين، الأول باتجاه وحدة المسلمين ثقافيا، والثاني باتجاه التعامل مع الآخر فالوحدة لا تعنى الإلغاء، بل عامل إغناء ومصدر خصب للحضارة، فالوحدة الثقافية تعطي المسلمين مكانا مرموقا، ومميزا على خارطة العالم، وتؤهلهم للتعامل مع الآخر، تعاملا لا يلغي الهوية، ولا يذيب الشخصية[52]، وهذه الإستراتيجية تقوم على أن الحضارة العربية الإسلامية قامت من يومها الأول على أساس التعدد، والاعتقاد بأن التنوع مصدر من مصادر الغنى الحضاري.

الفرع الثالث: إبراز عالمية الإسلام وإنسانيته :

العالمية صفة تميزت بها رسالة الإسلام، وتعني الانفتاح على العالم، والثقافات الأخرى مع الاحتفاظ بالخصوصية، والعالمية الإسلامية تسعى إلى نشر الفكر، والثقافة من خلال الإيمان بأحقية الحضارة الإسلامية ، وإبراز إيجابيتها، ليس بفرضها على الآخرين وتمزيق حضارتهم، وإلغاء هويتهم.

وبناء على ذلك ينبغي على المسلمين إحياء عالمية الإسلام، وتوجهاته الإنسانية، ونقلها إلى الناس، فالإسلام جاء نشرا لمكارم الأخلاق، ومساعدة الفقراء، و الإسلام لا يلغي الآخر، بل يحاور الآخر للوصول إلى الحق و الصواب.

والإسلام يقر التنوع الثقافي، لأن التنوع الثقافي والفكري من ضرورات التعايش، وإن من عالمية الإسلام و إنسانيته العمل لصالح البشر جميعا، وليس للمسلمين فقط، وإلا كيف يكون رحمة للناس و نصرة للمستضعفين[53].

الفرع الرابع الاهتمام بمؤسسة الأسرة :

الأسرة هي أهم المؤسسات ففيها يلقن الفرد القيم واللغة والعقيدة، يقول - عليه الصلاة والسلام - : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .... "[54]. وفي ظل العولمة الثقافية تقلص دور الأسرة، و تبرز هنا أهمية دور التربية الأسرية في التحصين والتهيئة لدخول معركة الحياة الصاخبة، فالأسرة مطالبة أن تغرس الخطوط العميقة في شخصية الطفل، وأن تجذر القيم الإسلامية في النفوس، وهي مطالبة ببث الوعي في النفوس، وأن يكون أسلوب التربية فيها هو التربية الشورية، وأن تقوم بتعديل سلوك الأفراد و فق منهج الله سبحانه و تعالى.

الفرع الخامس: الحد من التلوث الثقافي والإعلامي الموجه للأمة الإسلامية

العولمة الثقافية فيها الكثير من السلوكات، والقيم والمبادئ التي تسهم في تكوين جيل مشوه الأفكار، والاتجاهات، والقيم، وللحد من هذا التلوث يمكن القيام بالآتي[55]:

أ. **تجديد الثقافة** : والمقصود بالتجديد على مستوى القيم والمفاهيم والسلوكات ردها إلى أصولها، ومعرفة أسرارها، ومكوناتها، ومنطلقاتها، وهذا لا يكون إلا بربط القيم، والمفاهيم، والسلوكات بالإسلام.

ب. **تجذير الفروق الثقافية** : العولمة تسعى إلى محو الفروق الثقافية من أجل تجنيس الأعراق ولا بد أن تسعى الحضارات التي لا تريد الذوبان والانصهار في العولمة الثقافية إلى تجذير الفروق الثقافية عن طريق رد الثقافة بكل ما تحمل إلى أصولها النابعة منها. وفي الحضارة الإسلامية لا بد من ربط الثقافة بالإسلام، وأن تتحسن معرفة الناس بالمنهج الرباني أكثر من أي وقت مضى.

ج. **إغناء القاعدة الإيمانية والعقدية** : إنّ إغناء القاعدة الايمانية للإنسان تساهم مساهمة عظمى في الحد من أخطار العولمة الثقافية، الذي لا يتولد إلا عن طريق المزيد من الأعمال التعبدية التي تمدنا بطاقة الصمود والمقاومة، والإبداع، والعمل الدؤوب.

فالعمل على تقوية العقيدة في نفوس المسلمين، والتأكيد على الهوية الثقافية الإسلامية وتحصين المسلمين بالثقافة الإسلامية، وتربيتهم على الاعتزاز بالانتماء للإسلام، والدفاع عن اللغة العربية... وضرورة معرفة نقاط الضعف والخلل في مجتمعنا الإسلامي والسعي إلى تكوين نظام تربوي إسلامي متطلبات تحد من التلوث الثقافي، والإعلامي للعولمة الثقافية.

د. **العمل على زيادة الوعي تحصينا للذات الإسلامية** من الانحرافات الفكرية التي تؤدي إلى الذوبان بالآخر والثقافات المغايرة.

ه. **العمل على تعميق العمل الاجتماعي وتأهيله**، فلا بد من تفعيل القوى البشرية والمادية، وتمكينها لتأخذ دورها في حل مشاكل المجتمع بمشاركة حقيقية لا صورية(56).

الفرع السادس: الوعي بالمستقبل و التشجيع على الدخول في علوم المستقبل:

سبقت الإشارة إلى مفهوم الوعي بالمستقبل، وأن المقصود فهم المتغيرات المحتملة في الفترات الزمنية القادمة، و توجيه السلوك نحو التعامل مع هذه المتغيرات سواء بجانبها الإيجابي، أو السلبي.

فالوعي بالمستقبل يمكننا من القدرة على التخطيط السليم، و الإعداد للمستقبل، و من أهم معالم التخطيط للمستقبل و مواجهة تحدياته دخول علوم المستقبل مثل علوم الاقتصاد والمال و السياسة، ولا بد لدارس مثل هذه العلوم أن ينطلق من خلفية فكرية متينة.

الفرع السابع: تحديد الخصوصيات الثقافية للأمة الإسلامية:

من الخطوات الرئيسية للتعامل مع العولمة الثقافية: أن تحدد خصوصياتنا الثقافية، والمتمثلة بمكونات الهوية العربية الإسلامية، والخصوصية الدينية أي الإسلام كمنبع للثقافة، والحضارة الإسلامية، و أنه دين عالمي يصلح لكل مكان و زمان و الرسول - عليه الصلاة و السلام - رسول عالمي أرسل إلى العالم أجمع، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**(الأنبياء107). فالخطاب القرآني يدعو بكل وضوح إلى التعارف، والتعاون قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات13)، و يحث على الحوار مع الآخر و يضع للحوار ثوابت، قال تعالى: **{ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }** (النحل125) ويقول سبحانه: **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }** (العنكبوت46)

الفرع الثامن: الاهتمام بالتعليم من أجل غرس روح الانتماء للأمة:

ويتجسد ذلك من خلال المراحل الأولى للتعليم بالتأكيد على تدريس اللغة العربية، والتراث الإسلامي إلى جانب العلوم الحديثة، والتكنولوجيا، وأن يسود التوازن في التدريس دون أن يطغى جانب على آخر، فلا يسود تدريس العلوم الحديثة والتكنولوجيا على تدريس اللغة وعلوم الشريعة.

كذلك يجب غرس الانتماء العربي والإسلامي في نفوس أبنائنا الطلاب وتنميته، وأن يبين لهم أن هناك فرقاً بين تعلم علوم أمة من الأمم ،واعتناق حضارتها والانتماء إليها كما فعلت كثير من دول العالم[57]. ومن صور الاهتمام بالتعليم في عصر العولمة الثقافية:

أولاً: العمل على تعديل المناهج الدراسية:

فالمناهج الدراسية التي تعتمد على الحفظ، والاستظهار، والتلقين، ولا تعتمد على التحليل، ودقة الفهم لم تعد كلها محققة لمتطلبات العولمة الثقافية. فالمناهج في المؤسسات التربوية من رياض الأطفال، وانتهاء بالجامعة لا تخرج عن معلومات تحفظ، فلا تتطلع إلى المستقبل، ولا تتكيف مع مستجدات العصر، فالأصل في الكتاب المدرسي أنه وسيلة للتعلم، وليس الوسيلة

الوحيدة، إن مناهجنا و مقرراتنا الدراسية تحتاج إلى إعادة نظر، تصل إلى الجذور، وتقلب الموازين، وتحدث تغيرا في الشكل، والمضمون، فالمهارات والخبرات وحرية التفكير، وممارسة الأنشطة التي تنمي المهارات و القدرات مطالب أساسية في المناهج الدراسية.

إن الدعوة إلى تطوير المناهج ليس من متطلبات العولمة الثقافية، بل هو لمجابهتها، فالتغيير، والتطوير يجب أن ينطلقا من التراث والهوية، والدين[58]، فالهدف من إعادة النظر في المناهج الدراسية تشكيل ثقافة إسلامية مؤمنة بالأمة وبقدرتها على التمييز والإبداع.

ولا بد للمناهج الدراسية في عصر العولمة الثقافية أن تزود الطالب و المعلم بمجموعة من المهارات، منها[59]:

أ. تنمية القيم والاتجاهات في مختلف المواد الدراسية، وهذه القيم تساعد في إعداد الفرد لمواجهة العولمة، وتعمل على تمكين الفرد من التعامل الايجابي، والواعي، والناقد مع القيم الوافدة والمطروحة، وأن تكون هذه القيم مستمدة من القرآن الكريم، والسنة، والسيرة النبوية المطهرة، بالإضافة إلى اجتهادات العلماء المسلمين، وأن تكون في مجالات الحياة كلها، فثمة قيم عقائدية، وفكرية واجتماعية وقائية، وصحية وفنية، وجمالية،و أن تعزز المناهج الذاتية الثقافية، فأهم دور للمنهج هو إبراز الذات الثقافية، والتي تعني انتماء الأفراد إلى المجتمع الإسلامي بتقاليده، وعاداته وأساليب حياته.

ب. أن تحوي المناهج الدراسية المهارات، والمعلومات التي ينبغي أن يلم بها الإنسان حتى يستطيع مواجهة تحديات العولمة الثقافية، وأن تحوي آخر ما يطرأ من اكتشافات علمية، وإنسانية، وتعليم الطلبة أساليب الوصول إلى المعرفة المناسبة، والمطلوبة.

ج. أن تعمل المناهج على تمكين الفرد من التعامل الواعي و الناقد مع القيم الوافدة التي جاءت بها العولمة الثقافية.

وحتى يتحقق تأثير المناهج في شخص المعلم و المتعلم يجب توسيع قاعدة المشاركة في بناء المناهج، لتضم ثلاثة أطراف هي المجتمع، والطلاب، والمؤسسة التربوية، لأن قيام فرد بوضع المنهاج يفقده قيمته.

ثانياً: العمل على تطوير المعلم.

إن نجاح العملية التربوية يتوقف بشكل كبير على النجاح في إعداد المعلم الذي يجب إعداده اعداداً مهنياً من حيث الكفايات العلمية، والطرائق التربوية، واستخدامه للتقنيات كالحاسوب، والإنترنت. ففي ظل الثقافة لا بد أن يتصف المعلم بعدد من الصفات و الخصائص، منها [60]:

أ. أن يستند في عمله و سلوكه و ممارساته إلى قاعدة فكرية متينة، وعقيدة تنبعث من الإيمان بالله، والفهم الحقيقي للإسلام، وإن هذا الإسلام هو المستهدف في ظل العولمة الثقافية.

ب. أن يدرك أهمية وقدسية الرسالة التي يحملها، وأن الفئة التي يتعامل معها هي نواة التغيير والتقدم.

ج. أن يدرك أهمية تطوير نفسه وإمكاناته، وقدراته، وأنه لم يعد المصدر الأول للمعلومة، فثمة مصادر عديدة تعطي المعلومات، وعليه أن يهيىء نفسه للتعامل مع مشكلات جديدة في ظل العولمة الثقافية.

د. أن يتعامل مع المتعلم على أساس أنه حر يتمتع بحرية، وأنه إنسان فاعل قادر على العمل، والإنتاج، والإبداع، لا العمل على إحباطه.

ه. أن يربي لدى المتعلم حبه للمعرفة، والتعلم الذاتي، وأن يوظف معارفه في المجتمع الذي يعيش فيه.

و. أن يعد المتعلم ذهنياً وفكرياً بحيث يكون قادرا على فهم ما يدور حوله من تغيرات، وتبدلات عن طريق زيادة و عيهم بالمفاهيم و الأيدولوجيات المختلفة، وزيادة و عيه بالآخر، فالوعي بالآخر يحصن الذات أكثر.

والتفاعل الإيجابي بين طرفي العملية التعليمية يؤدي إلى النهوض بالمنظومة التربوية ككل ويزيد النتائج المأمولة، مما ينعكس على تأسيس مجتمع المعرفة، فالتفاعل والتفاهم هو قنطرة العبور إلى حياة أفضل، وخلق مجتمع متعلم واع يمكنه مواكبة الركب، وتحقيق الطموحات[61].

ثالثاً: إعادة النظر في الأهداف التربوية :

الأهداف التربوية التعليمية أهداف تقليدية نظرية بعيدة عن الشمول، وغير متوازنة، ففي زمن العولمة الثقافية يجب إعادة النظر فيها، فالواجب أن تنوع منظومة الأهداف التربوية لتكون شاملة لحاجات الإنسان، و العالم الإنساني، وأن تأخذ في مضامينها أبعادا إسلامية، وعقلية، ونفسية، وأبعاد الاتصال، والتبادل والتفاعل مع الشعوب.

فمن الضروري إعادة صياغة الأهداف لتتسع للدين، و الدنيا، وأن يكون للإسلام موضع الصدارة. وكذلك صياغة أهداف المواطنة و حقوق الإنسان بما لا يتعارض مع عالمية الإسلام[62].

رابعاً: إعادة النظر في أساليب التعليم و طرائقه :

أساليب التعليم تركز على التلقين، وحشو الذاكرة بمعلومات ثم استرجاعها وقت الامتحان، فالمعلومات لا قيمة لها إذا لم توظف في حياة الإنسان، فأساليب التعليم يجب أن تركز

على تنمية القدرات العقلية من تحليل، ونقد، وتركيب، وأن تسود المناقشات العلمية الجادة، وأن يتبع أسلوب حل المشكلات، و البحث عن المعلومات بجهد ذاتي من المتعلم[63].

خامساً: إعادة النظر في عمل الإدارة المدرسية:

الإدارة جزء مهم من المنظومة التربوية، فالواجب عليها أن تتجه إلى إشراك الآخرين من مربين، وأولياء أمور في شؤون المدرسة للمساهمة في حل مشاكلها. والإدارة مسؤولة عن تعزيز الانتماء و الولاء للأمة الإسلامية، والقيام بالأنشطة التي تجعل الطالب يعتز بأنه يحمل الهوية الإسلامية[64].

فمهمة المدرسة والإدارة بشكل خاص المساهمة بنقل التراث الثقافي، والتراث مهما كان متألقا إذا لم نتأمل به لكيفية التعامل مع الحاضر و المستقبل يتحول من شاحذ للهمم إلى معوق لها، وبالتالي فقدان الثقة بهذا التراث، والتحول نحو الآخر، ومن مهام المدرسة تبسيط التراث، فهو متداخل بدرجة لا تسمح للمتعلم الإلمام به، ومهمة المدرسة تبسيطه بما يتلاءم مع مراحل النمو، وكذلك تطهيره من الشوائب[65].

<u>سادساً</u>: إعادة النظر في صياغة شخصية المتعلم:

بات من المؤكد أن الطالب هو محور العملية التعليمية، فإذا نجحنا في صياغة هذا العنصر في ظل العولمة الثقافية، يمكن القول بأن العملية التربوية تسير بخطوات ناجحة ومدروسة. ولكن ما ملامح شخصية الطالب، أو ما أوجه إعداد المتعلم في ظل العولمة الثقافية ؟[66].

- **إعداد الشخصية المؤمنة بالله تعالى :**

إن المجتمع يواجه معضلة حقيقية في سلوك أفراده، وهي انحدار القيم الرفيعة، ومحاولة الهروب إلى إيمان شكلي، والمطلوب في ظل العولمة الثقافية ترجمة الإيمان بالله تعالى إلى سلوك عملي.

- **الإعداد الوجداني والعقلي والجسمي:**

العولمة الثقافية تستهدف محو المشاعر، والأحاسيس وتغييب العقل، وإنتاج الإنسان المادي، وهذا ينتج شخصية مبتورة غير متوازنة، فالأصل أن يهتم بإعداد الطالب في الجوانب الثلاثة وهذا لا يتأتى إلا إذا كان أساس الإعداد كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

- **الإعداد المهاري**

المؤسسة التربوية في ظل العولمة مطالبة بتشكيل إنسان متعدد المهارات، وهذه المهارات يجب أن تناسب عصر العولمة، مثل استخدام الحاسوب، والإنترنت.

- **الإعداد للشخصية المؤمنة بالعمل، والإنتاج، والإتقان:**

تستهدف العولمة الثقافية زرع ثقافة الاستهلاك في الأفراد والمجتمعات، وأن يصبح الفرد متلقيا، ومستهلكا لما يصله من نواتج العولمة الثقافية. فالأصل في المؤسسة التربوية أن تعد الشخص المنتج، وليس المستهلك، القادر على الإفادة من متطلبات العصر، المتقن للأعمال التي توكل إليه، لشعوره أن الإتقان عبادة يجب أن يتقنها.

- **الإعداد و التدريب على المواطنة والمشاركة الاجتماعية والسياسية** :

العولمة الثقافية تستهدف خلع المواطن من انتمائه الوطني، ومجتمعه الإنساني، بحيث يصبح بلا هوية، وبالتالي أصبح من المهام الرئيسية للنظام التربوي إعداد الأفراد للمواطنة الصالحة، فيعي الإنسان حقوقه وواجباته، و يوجه المجتمع الذي يعيش فيه إلى المخاطر المحيطة به.

- **غرس الإبداع والابتكار والتفكير الناقد** :

العولمة الثقافية تهدف إلى قتل الإبداع والابتكار في عالمنا الإسلامي، والعربي، ولكن إذا ما أردنا المستقبل، والمنهج السليم لا بد من إتباع غرس الإبداع والابتكار، وحث الطالب على التفكير الناقد.

سابعاً: التعليم المنشود في عصر العولمة الثقافية:

للتعليم في عصر العولمة الثقافية عدد من المرتكزات التي يقوم عليها والتي تختلف اختلافا كبيرا عن التعليم الذي سبق العولمة الثقافية، فمن أهم مرتكزات التعليم المنشود في عصر العولمة الثقافية[67]:

- الاهتمام بالتربية المتوازنة:

يمكن تعريف التربية المتوازنة بأنها" مجموعة المعارف، و المهارات، و الاتجاهات، والقيم التي تسهم في إعداد أفراد يتصفون بالقصد، والاعتدال في كافة شؤون حياتهم، قادرين على الدفاع عن و طنهم وقت الحرب، والنهوض به في كافة مجالات الحياة المختلفة سياسيا واقتصاديا، وعالميا واجتماعيا... [68]

وهذه هي التربية التي جاء بها الإسلام بجوانبها المختلفة، من جوانب النفس البشرية واعتبر التوازن فيها سمة من سمات الإنسان الصالح[69].وان يشمل التوازن متطلبات الروح والجسد.فالتربية المتوازنة تحمي الإنسان من كل آثار العولمة الثقافية، بسبب مراعاتها لجميع جوانب شخصيته.

- تعزيز الهوية وتعميق الانتماء للأمة الإسلامية:

تعيش الأمة في ظل العولمة الثقافية حالة من الاغتراب الثقافي تتطلب من النظام التعليمي أن يؤدي دورا أكثر فاعلية في تعميق الانتماء، وتعزيز الهوية و الاعتداد بثقافة الأمة، و ثوابتها من خلال التزام الرؤية الإسلامية، وترسيخ الإسلام كمنهج شامل للحياة.

- تربية المسؤولية الاجتماعية تجاه الأمة الإسلامية:

وتكون من خلال تنمية شعور الفرد بالجماعة ، وتأكيد دوره، ومسؤوليته تجاه المجتمع، فالمسؤولية الاجتماعية تنمو عند الفرد من خلال إدراكه لعقيدة الأمة، ودورها في التنمية والتقدم ، والنظام التربوي يجب أن يعزز ارتباط الفرد بأمته الإسلامية وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، وهذا الارتباط يدفع الفرد إلى المشاركة الإيجابية في المجتمع، قال تعالى: {**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** } (آل عمران104)

- الاهتمام باللغة العربية :

إن اللغة وعاء الثقافة، وجوهرها، ويكون الاهتمام بها من خلال تطوير أساليب تعليمها، وتكثيف استخدامها، وأن تكون لغة العلم، والتعليم في مؤسسات التعليم جميعا وفي مراحل التعلم كافة، وجعل اللغة العربية لغة أساسية من لغات العالم ويكون ذلك من خلال :

أ. تهيئة السبل لتعلم اللغة، وإتقانها لمن يطلب ذلك.

ب. العمل على الحد من انتشار العامية داخل الوطن العربي والإسلامي.

ج. زيادة حجم المنشورات العربية و إدخالها على شبكة الإنترنت.

د. أن تعمل مجامع اللغة العربية على جعل اللغة العربية لغة العلوم الحديثة.

- الاهتمام بالقراءة والكتابة :

يجب توجيه الأجيال نحو القراءة لتوسيع دائرة المعرفة، فنحن أمة القراءة و الكتابة، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }(العلق1). فالقراءة و الكتابة أداتا التعلم الأساسية، ولا يحدث تعليم دون القراءة و الكتابة، إلا أنه في ظل انتشار الإنترنت، وما يحويه من ثورة معلوماتية هائلة أصبح من الشائع عدم الحاجة إلى القراءة و الكتابة، وأخطر شيء هو قتل روح القراءة و الكتابة التي تنمي الإبداع.

- التربية الشورية :

في عصر العولمة ينبغي أن تتلاشى كل مظاهر الاستبداد والتسلط، وأن تصبح العلاقات داخل المؤسسات التعليمية قائمة على الاحترام، والتقدير، علاقات تسودها لغة الحوار، واحترام الرأي. فالإبداع والابتكار لا يمكن أن يظهر، في بيئة تعليمية لا تسود فيها علاقات شورية.

- تربية الإعداد للحياة :

من سمات العولمة التغير السريع، فالعولمة الثقافية أحدثت تغيرات سريعة في المجتمع سواء أكانت التغيرات تتعلق بالقيم، أو العلاقات، أو التقاليد، لذا يجب على النظام التربوي إعداد الأفراد، وإكسابهم المهارات والمعارف، وتزويدهم بمهارات التفكير الناقد، وأساليب فهم المشكلات، وعلاجها.

- تربية الإبداع :

العولمة الثقافية تعتمد على وسائل الاتصال المبتكرة، والتي تعتمد بشكل رئيس على العقول البشرية المتفوقة، ومما لا شك فيه أن الإدارة، والمعلم والمناهج الدراسية تلعب دورا بالغا في تنمية التفكير الإبداعي لدى المتعلم(70).

- تربية الوعي بالمستقبل:

والمقصود بها فهم الفرد و الجماعة للتغيرات المحتملة في فترات زمنية قادمة من أجل تحديد الأهداف المستقبلية، و توجيه السلوك نحو تحقيق هذه الأهداف، ويلعب كل من المعلم، والمنهاج، والإدارة المدرسية دورا بالغا في تربية الوعي بالمستقبل(71).

- تربية البحث العلمي :

أفرزت العولمة الثقافية مشكلات تربوية و اجتماعية لا بد من دراستها دراسة علمية معمقة، لذا يجب على النظام التربوي إعداد أفراد يتقنون فن التعامل مع المعلومات وفق منهجية علمية تكون قادرة على التحليل، والاستنباط، والبحث العلمي ،وإقامة مراكز دراسات وأبحاث مفيدة للأمة .

- تعليم بلا أمية :

إن الأمية لا تزال تمثل عائقا يحول دون النمو و التطور، حيث يقدر أن يصل عدد الأميين عام 2010 إلى سبعين مليوناً، وهو رقم يشكل تحدياً كبيراً، وكذلك تشير التقارير إلى أن الأطفال غير الملتحقين بالتعليم في الوطن العربي بلغ حوالي خمسة عشر مليونا عام 1991م، وسيصل إلى سبعة وعشرين مليوناً عام 2025م(72).

إن العولمة الثقافية بتركيزها على ثقافة الصورة تستهدف أول ما تستهدف هذه الفئة من أبناء المجتمع العربي، والإسلامي، فيجب على النظام التربوي أن يقف سدا منيعا لوقف انتشار هذه الظاهرة من خلال القضاء على الأمية .

الفرع التاسع: تجنب الرفض أو القبول المجاني والاستفادة من الفرص التي تتيحها العولمة:

يجب على الأمة الإسلامية أن تتخلص من عقدة الفعل وردّ الفعل؛ فالأمة مطالبة في زمن العولمة الثقافية بتجنب الرفض الانفعالي، أو القبول المجاني للعولمة الثقافية؛ لأنهما لن يغيرا في حقيقة ما يجري، ولن يقللا من خطورته، كما أن ترديد مقولات الهيمنة والإمبريالية لم تعد تجدي نفعا، فالأصل نقد وتعرية مضمون العولمة الثقافية، وبيان آثارها الايجابية والسلبية على الأمة[73]. ومما لا شك فيه أن العولمة الثقافية تؤدي إلى:

أ. تجعلنا نفكر بالمنهج أو المحك أو المعيار الذي تستطيع من خلاله تقويم أوضاعنا وأدائنا، وهذا المحك هو المنهج الرباني المتمثل بالقرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ.

- تقود تفكيرنا إلى المستوى العالمي كما تريد رسالة الإسلام بأن تكون عالمية، فنحسن التفكير، والأداء، والعطاء.
- تجعلنا نكتشف ما لا يفيد في ثقافتنا، ونستفيد من ثقافات الآخرين وفق التصور الإسلامي .

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- تعدد المفاهيم المطروحة للعولمة، وهذا التعدد يدل على أنها تنطلق من خلفيات ثقافية متعددة، وأن هذا المفهوم له أبعاد عديدة سياسية، وثقافية، واجتماعية واقتصادية .
- الثقافة تشمل مكونات معنوية هي العقيدة، والأخلاق، واللغة، ومكونات مادية تشمل الأدوات، والمعدات، والوسائل التي تعين على التكيف مع البيئة، وللعولمة الثقافية تأثيرات بالغة في الجانبين.
- العولمة الثقافية في حقيقتها تهدف إلى وضع الشعوب في قوالب فكرية تنبع أساسا من الثقافة الأمريكية وهي أكثر ما توجه نحو العالم الإسلامي بهدف تفتيته.
- للعولمة الثقافية آثار سلبية ، مثل غياب التوحيد، وعولمة الأسرة، والعدوان على الهوية الثقافية للأمة، ووقف تطور الحضارات، وانتشار ثقافة الصورة، والتأثير في اللغة العربية، وتغيير مفهوم الثقافة.
- للعولمة الثقافية آثار سلبية في العملية التعليمية بهدف استهداف العقل المسلم.
- للعولمة الثقافية آثار ايجابية ، منها تحديد المرجعيات، والدعوة للحوار، والاعتراف بالأخطاء وممارسة النقد الذاتي.
- التعامل مع العولمة الثقافية ينبغي أن ينطلق من عدة مرتكزات، منها: الثقة بالنفس، ووضع إستراتيجية ثقافية، وإبراز عالمية الإسلام، والاهتمام بالتربية المتوازنة،

والاهتمام بمؤسسات التربية والتعليم، وكذلك الاهتمام باللغة العربية ومحاولة تجذير ثقافة الأمة وتحديدها.

الهوامش

(1) حاتم بن عثمان، العولمة والثقافة، عمان، دار الفارس، الطبعة الأولى، 1999، ص 20

(2) زكريا طاحون، بيئات ترهقها العولمة، القاهرة، جمعية المكتب العربي، ط 1، 2003م، ص 18

(3) محمد الأطرش،"العرب والعولمة"، المستقبل العربي، عدد 229، 1998، ص 101

(4) محمد الجابري،"العولمة والهوية الثقافية"المستقبل العربي، عدد 228، 1999، ص 16

(5) ماجد شدود، العولمة، مفهومها ومظاهرها وسبل التعامل معها، سورية، ط 1، 2002م، ص 23

(6) عبد الكريم بكار، العولمة، عمان، دار الإعلام، 2001م، ص 11

(7) يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، بور سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 1، 2000م، ص 13

(8) إبراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمع، عمان، دار الفرقان، ط 1، 1983، ص 75 – 78

(9) حمود عليمات،"الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة"، إسلامية المعرفة، عدد 24، 2001 م، ص 89

(10) ماجد شدود، مرجع سابق، ص 128

(11) محمد شعبان علوان،"عولمة الثقافة وثقافة العولمة"، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005م، ص 113

(12) فتحي يكن، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، بيروت، مطبعة الرسالة، ط 1، 2001م، ص 34 – 35

(13) نبيل راغب، أقنعة العولمة السبعة، القاهرة، دار غريب، 2001م، ص 337 – 349

(14)محمد شعبان علوان،"عولمة الثقافة وثقافة العولمة"، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005م، ص 869

(15) محمد الجابري، مرجع سابق، ص 18

(16) المرجع السابق، ص 14

(17) محمد شعبان، مرجع سابق، ص 870 / 6

(18) ماجد شدود، مرجع سابق، ص 131

(19) جمال فتحي، مفهوم العولمة وانعكاساتها التربوية، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة اليرموك – كلية التربية، 2003م، ص 160 نقلا Morrow , William. The coming Economic Battle Among. Japan Europe , and America (New York). p. 35

(20) حمدي عبد الرحمن،"اثر العولمة على التضامن والتكامل في الوطن العربي"في انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي (إسحاق الفرحان محرر)، ط 1، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2001م، ص 35.

(21) زكريا طاحون، مرجع سابق، ص 71

(22) بركات مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، وزارة الأوقاف القطرية، الدوحة، سلسلة كتاب الأمة، عدد 86، 1422هـ، ص 30 – 31

(23) المنصف وناس،"مضامين العولمة الثقافية والاجتماعية"، مجلة الإذاعات العربية، العدد الأول، 1997م، ص 22

(24) حاتم بن عثمان، مرجع سابق، ص 58 – 59

(25) زكريا طاحون، مرجع سابق، ص 76 – 79

(26) محمد علي القرا،"العولمة والحدود"، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد 4، 2004، ص 90

(27) أحمد ثابت، العولمة والخيارات المستقلة، المستقبل العربي، عدد 240، 1999م، ص 12 – 22

(28) المنصف وناس، مرجع سابق، ص 20

(29) www.balagh.com

(30) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ، دار الكتاب الإسلامي، 1992، ص 87.

(31) عبد العزيز التويجري، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1997م، ص 16.

(32) عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص 67

(33)عبد الباري الدرة،"العولمة وإدارة التعدد الحضاري والثقافي في العالم"في مؤتمر العولمة والهوية، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1999م، ص72

(34) عبد العزيز التويجري، مرجع سابق، ص 10 – 14

(35) يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 46

(36) محمد الجابري، مرجع سابق، ص 314

(37) عبد الله عويدات، العولمة وآثارها، محاضرة في كلية الحرب والقيادة الملكية، عمان، 2001م، ص 18–19

(38) عبد الرحمن الغريب"إشكالية الهوية بين الإعلام التلفزيوني والتنشئة الأسرية للطفل العربي"، مجلة الطفولة والتنمية، عدد 2، ص 135

(39) عبد الله عويدات، العولمة وآثارها، مرجع سابق، ص 20

(40) يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص 50

(41) مجموعة من الباحثين، اللغة وبناء الذات، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد 101، 1425هـ، ص 9.

(42) علي إدريس، العولمة وأثرها على الأسرة المسلمة، جامعة أم درمان، السودان، مؤتمر الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة، 2005م، ص 6

(43) محمد الجابري، مرجع سابق، ص 313

(44) علي إدريس، مرجع سابق، ص 7–30

(45) محمد شعبان، مرجع سابق، ص 869

(46) المرجع السابق، ص 875-877

(47) عماد الدين خليل، في التحديات الحضارية للأمة الإسلامية"، مجلة آفاق، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، 2000م، ص 12

(48) طه جابر العلواني، كيف نقتحم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي، السعودية، كتاب المعرفة، ط1، 1999، ص 40-41.

(49)أحلام مطالقة، تطوير كتب التربية الإسلامية للمرحلة الأساسية العليا في ضوء مستجدات العصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، 2006م، ص 102-132 .

(50) رواه البخاري ،صحيح البخاري ، ج11،ص272،حديث 3197

(51) رواه احمد ، المسند ،ج44 ،ص493 ،حديث21000

(52) حمود عليمات ،مرجع سابق ، ص113

(53) رعد الحيالي، العولمة وخيارات المواجهة، بغداد، الخنساء للطباعة المحدودة، ط2، 2000م، ص 24-25

(54) رواه البخاري ،صحيح البخاري ،ج5،ص182،حديث1296

(55) عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص 110 – 119

(56) حمود عليمات ، مرجع سابق، ص 115

(57) فوزيه العشاوي، العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، مجلة الاجتهاد، 2001م، ص 109

(58) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تحديث استراتيجية لتطوير التربية العربية، القاهرة، مايو2004م، ص 74 – 75

(59) محمد صديق،"التربية وتحديات العولمة"، مجلة التربية القطرية، عدد 148، مارس 2004م، ص 87

(60) منى عماد الدين،"معلم المستقبل من منظور أردني"، رسالة المعلم، عدد 4، مجلد 33، ص48– 50

(61) المنظمة العربية للتربية، مرجع سابق، ص 76 – 77

(62) محمود قمبر،"تحديث نظم التعليم بين أسلحة وعولمة"في دراسات إسلامية في التربية والثقافة، إربد، دار عالم الكتب، 2006م، ص 182

(63) المرجع السابق، ص 184

(64) المنظمة العربية للتربية، مرجع سابق، ص 80 –81

(65) ابراهيم ناصر، مرجع سابق، ص 99

(66) عبد الله عويدات،"إعداد الطالب لمواجهة القرن الحادي والعشرين، عمان، منشورات عبد الحميد شومان، ص 71 –75

(67) إبراهيم عبد الله،"التعليم والأمن في عصر العولمة"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، عدد 38، شعبان 1425، 2004م، ص 230 – 239

(68) علي الجمل،"التربية المتوازنة مدخل لتطوير مناهج التاريخ الإسلامي لمواجهة تحديات العولمة" في مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، التحديات والآفاق، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، 2005م، ص 392

(69) المرجع السابق، ص 402.

(70) للمزيد، انظر، عهد الزيناتي، دور المدرسة في تنمية التفكير الإبداعي في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 2005م، ص 109-217.

(71) للمزيد، انظر، خيرة سرير حاج، الوعي بالمستقبل ودور وسائط التربية في تنميته عن منظور إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 2005م، ص 155 – 183.

(72) المنظمة العربية للتربية، مرجع سابق، ص 69 –72

(73) كريم أبوحلاوة، الآثار الثقافية للعولمة، مجلة عالم الفكر، عدد 3، مجلد 29، يناير 2001 م، ص 182 – 188.